**المحاضرة الثالثة : مدرسة الشام**

**تمهيد:**

تعود نشاة هذه المدرسة إلى اهتمام معاوية بن أبي سفيان بهذا الأمر حيث استدعى إلى بلاطه عبيد بن شربة الجرهمي اليمني الذي كان مشهورا في تدوين دقة الأحداث وكلفه بكتابة كتاب يضم كتاباته السابقة عن تاريخ العرب فألف عبيد كتابا لمعاوية أسماه كتاب الملوك وأخبار الماضيين، بعد اطلاع معاوية على هذا الكتاب استحسن الأمر وأعطى إشارة لعلماء بلاطه لتدوين تاريخ دمشق خاصة والشام عامة في بداية كتاباتهم هؤلاء العلماء اعتمدوا على قواعد ابن شهاب الزهري كمرجعية لهم خاصة في المنهج والأسلوب واختلفوا معه في التخصيص لدمشق والشام مما يوضح لنا الاتصال وثيق بين المدرستين.

**1- نشأة وخصائص مدرسة الشام :**

ازدهرت الكتابة التاريخية عند المسلمين في القرن 3 ه في بعض الحواضر السلامية إلا أن مدرسة الشام لم تواكب هذا الإزدهار مثلما كان متوقعا وذلك نتيجة للظروف السياسية التي كانت تحيط بالعلماء خاصة انتشار وتنوع المبادئ الدينية وظهور الإنتماءات كسياسة المعارضة للسلطة إلا أنهم رغم هذا تمكن بعض علماء الشام من الاسهام بشكل كبير في تدوين تاريخ المدن الشامية من الجانب السياسي والثقافي والاقتصادي سارت مدرسة الشام على نهج مدرسة المدينة إلا أنها اختلفت معها في وضع حدود إقليمية للدراسة التاريخية وقد شهد علماء مدرسة الشام بعض الحرية في التدوين خلال القرنين 5 و 6 ه كون أن الشام كانت في هذه الفترة تحظى باهنمام كبير من الحكام الزنكيين ومن بعدهم الأيوبيين فظهر في هذه الفترة فقهاء ومحدثين بادروا بتدوين بعض الأحداث التاريخية الخاصة بالشام فنجد منهم من اتسمت كتاباته بالتوسع حيث نجده كتب عن دمشق وحكامها ورجالها والحياة الاجتماعية فيها ثم انتقل إلى الكتابة عن المدن الشامية الأخرى ، والبعض الأخر اتسمت كتاباته بالمحلية بحيث كتب تاريخ مدينة واحدة أو إقليم واحد وقد يقتصر على جانب واحد ثقافي أواجتماعي أو سياسي ، ومنه من اقتصرت

كتاباته على الترجمة للشخصيات فقط فمنهم من ترجم لحاكم واحد ومنهم من ترجم لحكام كثيرون ومنهم من ترجم لعالم واحد أوفقيه واحد أو قاضي واحد ومنهم من حضر مؤلفه لمجموعة من القضاة أو مجموعة من الفقهاء أو العلماء ومنهم من جمع علماء عصره في مؤلف واحد، ومنهم من كتب تاريخ الدولة التي عاش فيها من نشأتها إلى عصره بحيث نجد في كتاباته التأسيس والحكام والحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلاقات الخارجية إلى غاية عصره. ومنهم من كتب في النبلاء فقط أي خص مؤلفاته بتدوين تاريخ الطبقة النبيلة في المجتمع فنجد مؤلفه يضم العلماء والقضاة والفقهاء والمحدثين ذوي النسب الشريف ، وهناك من اقتصرت كتاباته على تدوين تاريخ النظم في الدولة التي عاش فيها إلى عصره فكتب عن التنظيمات السياسية والإدارية ، وعن النظام الحالي والنظام القضائي دون أن يتعرض لدراسات انعكاسات هذه النظم على الحياة الاجتماعية والثقافية.

تأثرت مدرسة الشام بالعديد من العوامل السياسية التي إما ضايقت العلماء أو أتلفت انتاجاتهم العلمية منها:

1. **النزاع الفكري والسياسي بين الدولة العباسية والدولة الفاطمية خاصة أن الشام كانت في هذه الفترة معبراً وممرا تجاريا.**
2. **شهدت أيضا الشام خلال القرنين 6 و7هـ غزوا صليبيا شاملا مما أدى الى اتلاف أمهات المصادر التي ينتمي أصحابها للمدرسة الشامية، استطاعت أن تظهر من جديد لكن بشكل ضعيف في العهد الأيوبي فقد خص البلاط الأيوبي العلماء ببعض الرعاية ونجد من بين الذين كتبوا خلال هذا العصر:**

- **بن أبي الطيء: الذي استمرت كتاباته في الوجود إلى ما بعد عصره ثم اختفت.**
- **ياقوت الحموي: الذي تفوق على معاصريه بمعجميه "معجم البلدان" و"معجم الأدباء".**

**2- رواد مدرسة الشام:**

**من أشهر روادها:**

**1- ابن القلانسي463 – 555ه /1071 – 1160م:** هو حمزة بن أسد بن علي أبو يعلى المتوفى سنة 550هـ، وهو من مؤرخي مدينة دمشق وتعتبر دمشق مسقط رأسه وموطن أجداده وفيها نشأ، إذ كانت أسرته من العائلات الأصلية في بلاد الشام حيث تمتد جذورها إلى قبيلة تميم العربية وقد وفرت له أسرته المناخ الملائم لتلقي العلم فتفوق فيه بدراسة الفقه والحديث والأدب وتعلم الفنون ودرس اللغة الفارسية فتنوعت ثقافته مما أهله بأن يصبح على رأس الديوان في دمشق.

بعد أن تقلد منصب كاتب الديوان تميز في عمله فقلده والي دمشق رئاسة الديوان الخاصة بالعاصمة وكان لمنصبه الفضل في اطلاعه على الكثير من الوثائق والرسائل الرسمية للدولة في عصره فكتب العديد من المؤلفات التي نجدها معتمدة في وصف الحدث على وثائق رسمية وصلت إلى يديه بحكم عمله منها كتاب ذيل تاريخ دمشق، كما كتب أيضا تاريخ حلب وتاريخ حمص وتاريخ القدس معتمدا في ذلك على الرحلات الرسمية التي كان يقوم بها في مهام أسندها إليه الحاكم، لكن هذه الكتابات لم ترد الينا في شكلها الأصلي وإنما نجد معظمها عند علماء آخرين أخذوا منه خاصة تلامذته.